نادرة، ولأنكم لا تؤذون أحدًا ولا تتقدمون إلى أحد بما يكره، وإنما أنتم خيرٌ خالص لا يمازجه الشر، وعسل خالص لا يشوبه العلقم؛ فأما أن تسوموا نساءكم سوء العذاب وأن ترهقوهن من أمرهن عسرًا، فإنما ذلك تأديب لهن، تستوفون ما لكم من حق الطاعة، وتتقربون بتأديبهن إلى الله، وأما أن تمسكوا نساءكم على ما يكرهن من الألم والبؤس، وأن تعلقوا على رءوسهن هذا السيف القاطع سيف الطلاق، وأن تصوبوا إلى صدورهن هذا السنان الذي ينفذ إلى أعماق القلوب، سنان التزوج بضرة تُدخلونها على الزوج في دارها وتنغصون بها حياتها، وتُذيقونها ألم الغيرة وشقاء الحسد، وتورطونها في الغدر والكيد والنفاق، فليس عليكم من هذا كله بأس، إنما تستمتعون بما أتاح الله لكم من رُخصة وبما أتاح لكم من حق، فإن ضاقت المرأة بشيء من ذلك أو أنكرته أو ثارت له، فهي كافرة للنعمة، جاحدة للجميل، عاصية لله؛ وهي من أجل ذلك صائرة إلى النار مع أمثالها اللاتي يؤلفن الكثرة الساحقة من أهلها.

قال سليم وقد أخذ يثوب إلى شيء من الجد والهدوء: ما رأيت كاليوم جدلًا ولا شغبًا؛ من أين لك هذا العلم كله؟ ومن أين لك هذه الفصاحة كلها؟! وما هذا الشيطان الذي استقر في قلبك وأجرى لسانك بهذا المنكر من القول؟!

قالت زبيدة وكأنها لم تسمع لزوجها: وأمَّا أن يخون الرجل منكم زوجه أو أزواجه، فيعدو على غير حقه، ويأثم في غير حاجة إلى الإثم، فخطيئة عسى الله أن يغفرها لكم ما دمتم تُصلُّون وتصومون وتستغفرون؛ والاستغفار يمحو الذنوب، ويعصم أصحابه من النار، ألا ترون أنكم تسرفون على أنفسكم وعلى الناس حين لا تكتفون بتدبير أمور دنياكم على ما تحبون، وإذا أنتم تدَبِّرون أمور الآخرة على ما تشتهون أيضًا؟! وهمَّ سليم أن يتكلم وقد أخذه شيء من العنف، ولكن زبيدة مضت في حديثها وقالت في ابتسامة ساخرة مغرية معًا: حدثني عن نفيسة، أمن أهل الجنة هي أم من أهل النار؟

ولم يكد سليم يسمع هذا السؤال حتى سكت غضبه وانكسرت حدته وظل واجمًا لا يكاد يجيب، فلم يكن يُقَدِّر أنَّ هذا الحوار الذي استأنفته امرأته يريد أن ينتهي إلى نفيسة. وما شأن نفيسة وهذا الحديث الذي كان يُفاوض فيه أخاه وصديقه أمس؟ قالت زبيدة: إنَّ نفيسة لم تختر لنفسها صورتها البشعة ومنظرها القبيح، ولم تَدْعُ خالدًا ليكون لها زوجًا، بل لم تعرفه إلا حين أُدْخِلَ عليها أو أُدْخِلَتْ عليه، ثمَّ هي لم تمنح إحدى ابنتيها جمالًا رائعًا، ولم تمنح الأخرى قبحًا مخيفًا، ثم هي لم تُؤذِ زوجها في نفسه ولا في بيته، ولَمْ تُخالِف عن أمره، ولم تُسمعه ما يكره من القول، ولم تُكَلِّفه ما لا